

الهجرة النبوية الشريفة .. انتصار الخير على الشر

محمود القاعود - مصر

منذ أن خلق الله بني آدم، وجد الخير والشر، ودائما ما ينتصر الخير على الشر مهما طال الصراع بينهما ومهما استمر الظلم والطغيان.. فالصراع بين الخير والشر صراع أبدي ودائم حتى يرث الله الأرض ومن عليها، واللبيب من يتأمل في نهايات الصراع الشرس الممتد عبر التاريخ بين الخير والشر.

رسول الله ﷺ: قل يا أبا الوليد، أسمع. قال: يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رثيا تراه لا تستطع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبيدنا فيه أموالنا حتى نبترك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوي منه. فقال الرسول ﷺ: أقدر فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم. قال: فاسمع مني. قال: أفعل. قال: يسمع الله الرحمن الرحيم ﴿حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون. بشيرا ونذيرا فاعرضوا أكثرهم فهم لا يسمعون...﴾ ﴿فصلت - ١: ٣﴾ ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه، فلما سمعها منه عتبة أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها وهي قوله تعالى: ﴿ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون﴾ ﴿فصلت - ٣٧﴾ فسجد رسول الله ﷺ ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذلك، فلما يش عتبة من مساومة الرسول الأعظم خرج يبلغ قومه ما كان، فاجتمع رأيهم على أن يجتمع بالرسول أشراف قريش من كل قبيلة، وهم: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، والنضر بن الحارث، وأبو لهختري بن هشام، والأسود بن المطلب، وزمعة بن

ربيعة، فأخذوا يضيقون عليه ويروعون أتباعه ويعذبون أنصاره، ويحاصرون قومه، وحاولوا يشي الطرق أن يعرقلوا مسيرة الدعوة، فلما وجدوا إصرار الرسول ﷺ على دعوته، ذهب بعضهم إلى الترغيب عليهم يجذوا فيه ما يشي عن الدعوة إلى عبادة الله الواحد الأحد.

أورد أصحاب السير أن عتبة بن ربيعة ذهب للرسول وقال له: «يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من السلطة في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم، وسفحت به أحلامهم، وعبت به من مضى من آياتهم، فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها، فقال له

إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم﴾ (إبراهيم - ٢٢).

أروع الانتصارات

من أروع الأمثلة في تاريخ انتصارات الخير على الشر، حادث الهجرة النبوية الشريفة.. تلك الهجرة إلى الله. تلك الهجرة التي كانت هجرا للظلم والفحش والطغيان.. تلك الهجرة التي أسست لعالم خير يرسو فيه القيم والمثل والأخلاق.. عالم تكون فيه كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.

لقد تعرض الحبيب المصطفى ﷺ لحملات إيذاء عنائية منذ أن بدأ يجهر بدعوته المباركة، فلم يرق لأنصار الشر الكفار ما جاء به محمد ﷺ من عند

لم نسمع أو نقرأ أبدا عن انتصار الشر على الخير.. نعم قد يبدو للناس أن هناك شرا لا خلاص منه، ولا انتصار للخير عليه، لكن سرعان ما يبدو الخير هويلا لا يخلف وعده أبدا، وترى الشر يندحر ويضوي بعيدا، ولعل أول صراع بين الخير والشر هو ما وقع بين ابني آدم، وحكاه رب العزة في قرآنه الكريم.

والمثال في مصير الأشرار يجد أنهم لا يتعظون من حوادث التاريخ ولا من نهايات الشر المخزية، فقد غرتهم الحياة الدنيا واستجابوا لدناء الشيطان الرجيم رغم علمهم ويقينهم أن الشيطان سيخذلهم ولن ينصرهم أبدا. يقول الحق سبحانه وتعالى يحكي قصة الشيطان الرجيم يوم القيامة، وكيف أنه يخذل من استجابوا لدعوته الأثمة، واعتراف الشيطان بأن الله هو الحق وأن وعده الحق، ونفيه اللوم عن نفسه، فما فعله لم يتعد أنه دعاهم للفسوق والعصيان، وهم استجابوا لدعوته الأثمة ﴿وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي



الظلم سرعان ما يتهاوى وشريعة الشیطان تؤدي إلى الشرور والآثام ... والعدل يجب أن يسود بين البشر

الفجر

لم يخبرنا التاريخ أنه في أحد الأيام توقفت الدنيا عند الليل ولم ينبج النهار، ولم يجعل الله الليل سرمداً إلى يوم القيامة، بل جعل الليل والنهار، ومهما طال الليل شروق الشمس، وكذا مهما طال الظلم وال جور فلا بد أن تتحقق العدالة ولا بد أن تكون هناك نهاية للعذاب ولا بد أن ينتصر المظلوم فالأيام دول، يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوَلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ (آل عمران: ١٤٠).

ولله در الشاعر أبي البقاء الرندي إذ قال في رثاء الأندلس:

لكل شيء إذا ما تم نقصان

فلا يُعْرِطُ بيطيب العيش إنسان
هي الأمور كما شاهدتها دول
من سره زمن ساءت أزمان

لقد اشتد الإيذاء لرسول الله ولصاحبه الأطهار، وكانت العبارة الخالدة للرسول الكريم «صبرا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة» تعبر عن مدى بشاعة التعذيب والتككيل والإجرام الذي يلاقيه المسلمون.

بداية النهاية لرحلة الظلم
والعذاب

اشتد الكرب والبلاء على رسول الله ﷺ، وهنا كان لا بد من الهجرة للمحافظة على أمر هذا الدين.. حاصر عتاة الكفر والإجرام بيت رسول الله ﷺ ليقتلوه، وينام الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبطولة في فراش المصطفى ﷺ، ويعمي الله الكفار، ويضع الرسول الكريم فوق رؤوسهم القراب إمعاناً في إذلالهم، يفاجأ الكفار بما حدث

إلا أن تمسكه بالحق يزداد ووقوفه في وجه الجور والكفر والطغيان يتعاضد.

التحاييل على الخير

اجتمع الكفار بأبي طالب عم الرسول ﷺ، وأبلغوه أن يساوم محمداً ﷺ في أمر الدعوة ليريحهم ويستريح، يتركهم على الكفر ويكفون أذاهم عنه وعن أتباعه.

يقول ابن إسحاق في سيرته: حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حدث أن قریشاً حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله ﷺ فقال له: يا بن أخي، إن قومك قد جاءوني، فقالوا لي كذا وكذا، ولذي كانوا قالوا له، فأبق علي وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق، فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه أنه خاذله ومسلمه وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه، قال رسول الله ﷺ: «يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته، قال ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى، ثم قام، فلما ولي ناداه أبو طالب فقال: أقبل يا بن أخي، قال فأقبل عليه رسول الله ﷺ، فقال: اذهب يا بن أخي، فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً.

وأمام هذا التصميم الرهيب على مواصلة الدعوة وعدم الخضوع لابتزاز الشر وأهله من عتاة الكفار كانت حملة عاتية ضارية شنّها الكفار الفجار ضد الرسول ﷺ وأصحابه الكرام الذين آمنوا بدعوته وصدقوا برسالته.

مهما طال الليل فلا بد من طلوع

الأسود، والوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أمية، والعاص بن وائل ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وأمّية بن خلف ليفاوضوه، حتى إذا ما قصرت الحجة بأحدهم لقنها إياه صاحبه.

فاجتمعوا وبعثوا إلى محمد بن يخبره ويقول له: إن أشرف قومك قد اجتمعوا لك ليكنموك قاتهم، فجاءهم رسول الله ﷺ سريعا، وهو يظن أنه قد بدا لهم بما كلمهم فيه بداء، وكان عليهم حريصا، يجب رشدهم، ويعز عليه عنيتهم، حتى جلس إليهم، فقالوا له: يا محمد، إنا قد بعثنا إليك لتكلمك، وإنا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء، وعبت الدين، وشتمت الآلهة، وسفهت الأخلام، وفرقت الجماعة، فما بقي أمر قبيح إلا قد جئته فيما بيننا وبينك، فإن كنت إنما جئت لهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك، وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا فتحن نسودك علينا، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رثيا نراه قد غلب عليك بذلنا لك أموالنا في طلب الطلبي لك حتى نبرئك منه أو نغدر فيك. فقال لهم رسول الله ﷺ: ما بي ما تقولون، ما جئت بما جئتمكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولا، وأنزل إلي كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا، فيبلغنكم رسالات ربي ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم. أ هـ.

هكذا حاول الكفار مع رسول الله ﷺ بجميع الحيل وشتى الطرق،

ويعلنون عن جوائز ضخمة لمن يأتي برسول الله، أحداث تتلاحق ويد الله تؤيد الرسول ﷺ وصاحبه أبا بكر الصديق رضي الله عنه، لا يخشى من ملاحقة الكفار الأشرار الذين أقسموا ألا يتركوه حيا، ويمكث رسول الله وصاحبه في الغار، ويخشى أبو بكر من بطش الكفار الذين يحاصرون الغار وبينهم وبين الرسول وصاحبه عدة أمتار «يا رسول الله، لو نظر أحدهم إلى مؤذن قدميه لرأنا»، لكن الرسول ﷺ يطمئنه قائلا: «يا أبا بكر ما فئلك بأشئ، الله ثالثهما، لا تحزن، إن الله معنا» شهدا نفس الصديق.. فماذا بعد حماية ورعاية الله؟

البدر يطلع في المدينة المنورة

ظل الأنصار ينتظرون طلوع رسول الله ﷺ، مرت الأيام وهلت أنوار الحبيب ﷺ، وهرع أهل المدينة يستقبلون أشرف خلق الله أجمعين، الكل يريد شرف مصافحة الرسول والجلوس إليه، الجميع يشد. مرت الأيام ودخل رسول الله مكة التي أخرج منها وفر من عذاب أهلها وجورهم، وسال الرسول الكريم أهلها: «يا

معشر قريش: ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم، قال: فإني أقول لكم ما قاله يوسف لإخوانه: لا تريب عليكم اليوم.. اذهبوا فأنتم الطلقاء» غفر الرسول الكريم لجميع من آذوه وضيقوا عليه وحاصروه، لم يستجب لشهوة الانتقام رغم إجرام أهل مكة من الكفار الذين فعلوا به وبأصحابه الأفاضل، سامحهم وهو في موقف القوة والقدرة عليهم، بين لهم كيف أن الخير ينتصر على الشر مهما طال الأيام والليالي، وأن الظلم سرعان ما يتهاوى، وأن العدل يجب أن يسود بين البشر، فشريعة الشيطان تؤدي إلى الشرور والآثام، وشريعة الله تؤدي إلى العدل والإحسان والخير.